المريض من عشرين سنتيجراماً الى جرام مقسم على ثلاث مرات . واذا لم يستطع المريض شرب موريات الكينين كنا نحقنه بو حقناً . وكنا نأمر بالاشربة الباردة والمياه الغازية والاعراق الباردة في احوال الفيء واستعملنا الدهانات المسكنة وخصوصاً زيت البنج لذلك المفاصل لمن كان مصاباً بآلام حادة . وبما ان اكثر المصابين كان يحدث لهم فقد الشهية وتغير في طعم الفم ولون اللسان كنا نعطيهم المركب الآتي بعد زوال الحمّى لاصلاح معدهم وهو

ماء مقطر	١٨٠	جراماً
صبغة الراوند المائية	١٠	"
بي كربونات الصودا	٢	"
شراب زهر البرتقال	٣٠	"

يؤخذ تدريجاً مدة اربع وعشرين ساعة . وكنا نلزم المرضى مدة المرض بالحمية ونسقيهم ماء جيس هويلير وماء سن جليه واستعملنا لهم الغسل بالماء والخل والمكمدات بهما ايضاً لمن كانت الحمّى فيهم شديدة وقد عالجنا مئة وستين مريضاً فشفوا كلهم باذن الله * هذا وقد بلغنا ان هذه الحمّى فشت في الديار الشامية قبل زوالها من الديار المصرية

بواعث الانسان على العمل (١)

لجناب يوحنا افندي دخيل

ان الانسان حرٌّ مختارٌ . وهذه قضيّة ثابتة في النفس يحسّ بها الانسان بحسّ الباطن ويقتنع بوجودها كما يحسّ بالمحسوسات الظاهرة بحواسه الخمس (او الست) ويقتنع بوجودها ايضاً . والحريّة في الانسان تجري على سنن ثابتة خلافاً لما توهمه بعض الفلاسفة من انها سائبة لا تجري على سنّة ولا تراعي فيها ولا ادراكاً . اذ الامر واضحٌ اننا لا نعمل عملاً الاّ عن قصد واجابةً لداعٍ يدعونا الى ذلك العمل وان معظم افعالنا لا نتمّ طوعاً لمقتضى السليقة بلا رويّة ولا تبصرة . فلو كانت الحريّة فينا سائبة لا سنّة لها كما يتوهم اولئك الفلاسفة لكنّا اوطأ رتبةً مما يفعل افعاله بالسليقة منقاداً الى طبيعته العمياء ولأشبهت ارادتنا ارادة مجنونٍ لا عقلَ له . وكيف يصحّ ذلك ونحن نعلم علم اليقين ان لنا ادراكاً وحسّاً او انفعالاً كما ان لنا ارادة وان الادراك ينير الارادة بارشاداته التصوّريّة والتصديقيّة والحس او الانفعال يعبرها الاميال والعواطف و بعبارة

(١) وهي خطبة له تلاها في احدى جلسات المجمع العلمي الشرقي في اوائل سنة ١٨٨٧

أخرى ان الحسّ والادراك يهيئان البواعث التي تبعث الانسان على فعل افعاله وهذه البواعث هي موضوع كلامنا في هذه المقالة

ذكرنا ان الانسان السليم العقل لا يعمل عملاً الاّ عن قصدٍ ولبواعث تبعثه على ذلك العمل وان هذه البواعث صادرة عن الحس والادراك ولذلك تكون على انواع شتّى وقد ردّها بعضهم الى اربعة انواع كبيرة وهي اللذّة والهوى والنفع والواجب او الخير والثلثة الاولى تصدر غالبًا عن الحس والرابع عن الادراك ولذلك كان افضلها . وقد قصدت ان اتكلم على كلٍّ منها بالايجاز معترفًا بعجزي وقصر باعي وكساد بضاعة وسقط متاعي قاسمًا الكلام الى نبذتين الأولى في الاقسام الثلثة الأولى والثانية في القسم الرابع

النبذة الاولى . في اللذة والهوى والنفع

اما اللذّة فهي الحال التي تكون النفس عليها عند تمتع حواسها بما هو شهيٌّ ولذيذ . واللذاذ الحواس يكون بامرين احدهما الحصول على حاجاتها اللازمة لقيام الحياة كما في الشبع بعد الجوع والري بعد العطش والراحة بعد التعب ونحو ذلك . والآخر الحصول على ما تشتهيه ولا يلزم لقيام الحياة بل يتعود الانسان الالتذاذ به بالتربية والمزاولة كما في السكر والتدخين واللهو والطرب ونحو ذلك من المشتهيات والملذّات * ويوجد عدا هذه اللذّة لذّات أخرى كاللذّة العقليّة والتصورية وما شاكلها . وهذه اللذّات تمتاز عن اللذّة المذكورة آنفًا امتيازًا لا يحتاج الى ايضاح وتصدر غالبًا عن اتمام الانسان لواجب من واجباته او عن تثقيف العقل بمثقّف شريف من الافعال والاشغال . ويقال في اللذّات اجمالاً ان كل لذّة حصلت عن الخير او عن عمل الخير هي مقبولةٌ وممدوحةٌ بشرط ان لا تجعل غايةً للافعال بل تابعًا للغاية الحقيقيّة التي هي الخير المطلق . وعليه يجب على الانسان ان يلذّ بعمل الخير لأنه حسن وصالح لا أن يعمل الخير لمجرد الحصول على اللذّة من عمله

وأرى قبل الانتقال من الكلام على اللذّة الى الكلام على غيرها ان أورد بعض ما قاله افاضل الفلاسفة فيها . قال فونتنل الشهير " اللذّة امرٌ لا يصحّ التوغل فيه ولا الافراط منه فانها كالسباخ اذا لم يتخافّ الانسان في السير عليها ارتطم بها وغاص فيها " وقال آخر " اندفق العسل من حانوت سمّان فوقع الذباب عليه وجعل يعبّ شربًا حتى انغمست ارجله فيه وعجز عن الطيران فمات في لذته وهو يتأوه قائلاً تبًا لنا ما اجهلنا فقد فقدنا الحياة طمعًا بلذّة ساعة " . وقال آخر " اللذّة تشبه امرأة فنّانة قد ركبت مركبة عجلها الكبرياء والنهامة والشهوة والبطالة وفرساها السعة

والثروة وسائقاها الاهمال والتواني وخدمها الاثم والغم والندم حين لا ينفع ندم وحشيها الموت الابيض والاحمر والاسود . تتشغف بها قلوب الاغبياء والعظماء والاقوياء والوجهاء ولكن لا يتمتع بها احدٌ تمتعاً حقيقياً ثابتاً ولا ينال منها سروراً صحيحاً دائماً " اه

واما الهوى فيظهر في الانسان على صور ومظاهر شتى منها العشق والبغض والحسد والطمع وحب الانتقام ونحو ذلك مما يبدو جلياً في نفس كل انسان ولا سيما الضعيف الارادة الواهن العزيمة . وهو غير اللذة في طبعه واوصافه واشدُّ قوةً منها ودليل ذلك ان النفس لا تتقلب على احدى صوره ما لم تجاهد ضدها اكثر مما تجاهد ضدَّ احدى صور اللذة كالسكر واللهو ونحوها وهذا يعلمه كل انسان من نفسه ولا حاجة للتطويل في بيانه

ولكل صورةٍ من صور الهوى المتقدم ذكرها غاية خصوصية يفرغ الانسان المستعبد لها كل جهده دون نوالها . فالعاشق المضطرم بنار الغرام قد يجود بحياته ارضاء لحبيبه او فداء عنه وشاهدنا على ذلك ما جاء في التوراة عن شمشون الجبَّار حيث لقي من العذاب ما لا يوصف ارضاء لعشيقته دليلة . والعدوُّ الشديد البغض قد يفرِّط بنفسه شفاء لغليله من عدوه وشاهدنا على ذلك ما ورد في التوراة ايضاً عن هامان كبير وزراء احشويرش ملك مادي وفارس حيث ذاق مرَّ الموت وهو يسعى في اهلاك اليهود اعدائه . والمطاع يحمل نفسه الذل والهوان ويصبر على كل ضنكٍ وحرمان ويقتحم اعظم الاخطار لنوال مطمعه او حرصاً على شيءٍ في يده وشاهدنا على ذلك طمع ايشبعلوم في اختلاس الملك من ابيه داود ومونة لذلك اشنع مينة *

وخلاصة القول في الهوى انهُ في الفضائل والخير محمود بشرط ان لا يكون غايةً للافعال بل تابع للغاية الحقيقية التي هي الخير المطلق . فيجب على الانسان ان ينتج من الهوى بما كان غير مخالف لما يقتضيه الواجب او الخير وان يهوى عمل الخير لانهُ خير لا ان يعمل الخير لنوال ما يهوى

وقبل الانتقال منهُ الى النفع يليق بي ان اورد بعض ما ذكرهُ الافاضل في الهوى المنهي عنهُ: قال العلَّامة جونصن " من لم تَسُد ارادتهُ عليهِ كان عبداً لهواهُ " وقال اعرابيٌّ " الهوى حاكمٌ ظالمٌ اذا حكم يقتل ولا يشفق " وقال آخر " الهوى كالنار المضطرمة اضطراماً يكاد لا يطفأ " وقال آخر " الهوى كالنهر الطاغي لا ينحصر ضمن حدودٍ " وما اجمل ما قالهُ احد الفضلاء " ما الاسيرُ من وضع الاعداء القيود في رجليهِ بل الاسيرُ مَن الفتهُ اهواؤهُ في قيود الهلاك " وروى بعض الفضلاء ان هندياً ربَّى شبلاً وكان في صغره ضعيفاً فلم يسعَ في تذليله ثم جعل ينوى ويأبى الانقياد حتى هاج يوماً غضباً فوثب على الهندي وقتله . وكذا شأن الهوى اذا لم يضبط من اوله

واما النفع فيكون ايضاً على وجوه شتى مثل التموُّل والتموُّن والاتجار والاحتراف واقتناء

الاسلحة والاشياء الثمينة ونحو ذلك من الاعمال التي يقصد بها نفع الفرد او الجمهور. وهو يختلف عن اللذة والهوى اختلافاً واضحاً: أما اختلافه عن اللذّة فظاهر في اختلاف النافع عن اللذيذ فان النافع هو ما دامت فائدته مدّة طويلة واللذيذ هو ما حصلت منه اللذّة مدّة قصيرة غالباً. انظر الى طول مدة النفع الحاصل عن التموّل وقصر مدة اللذة الحاصلة عن السكر وقس على ذلك سائر وجوه النفع واللذّة. ويزداد الاختلاف بين المنفعة واللذّة وضوحاً بالنظر الى ندرة توافقهما معاً اذ الغالب ان الغاية التي تدرك باحداهما لا تُدرَك الّا بفوات الغاية التي تُدرَك بالاخرى. فالذي يطلب الراحة في مستقبل ايامه بالتموّل مثلاً لا يحصل عليها ما لم يحرم نفسه ما تشتهيه من الملاذّ والّا فانه يبقى فقيراً طول ايامه * واما اختلاف النفع عن الهوى فظاهر من ان النفع يكون دائماً مقروناً بالصبر والحزم والتأني والتروّي والتدبير والحساب بخلاف الهوى فانه يغلب فيه النزق والطيش والعجلة والجموح فلا ينقاد لخير غايته وعلى ذلك يقال ركب فلانٌ هواهُ اذا جمح وابى الارتداع والارعواء. ولا يحيد صاحب الهوى عن هذه الصفات الّا متى اضطرّته الاحوال الى التبصّر والتدبّر لايجاد الوسائط المؤدية الى الحصول على منية في الاستقبال امتنع عليه تحصيلها في الحال. فكأنه لا يلتجئ الى الحزم والتدبير الّا ليتطوح بعدهما اشدّ التطوّح في ركوب هواهُ * ومن رام زيادة الايضاح في الفرق بين الهوى والنفع فعليه ان ينظر في تعجّل من يبغي الانتقام وتسرّعه وخنوفه الى ركوب الخاطر والى تمكّث من يبغي التموّل وتبصّره وتثاقله عن الاقتحام

وخلاصة القول في النفع سواء عاد على الافراد او الجماعات انه كاللذة والهوى لا يمدح الّا اذا كان لا يعتبر غايةً للافعال بل تابعاً لغايتها الحقيقية اعني بها الخير المطلق. فيجب على كل من يقصد النفع بافعاله ان يعمل النافع لان عمله خير وصالح لا ان يعمل الصالح او الخير لانه نافع. والّا فلا تكون الفضيلة ممدوحةً في اعتباره الّا لانها نافعة وليس لانها حسنة في ذاتها بقطع النظر عن نفعها. وذلك الاعتبار خطأٌ لان النفع قد يصدر عن غير العقلاء او الاحياء كنفع الآلات البخارية والآلات الكهربائية ونحوها. فان نفع الآلة الواحدة منها قد يزيد على نفع الوف من البشر ومع ذلك فلا يُعدُّ نفعها فضيلةً بخلاف نفعهم. وسبب ذلك ان صورة الخير او الفضيلة مرسومة في ذهن البشر من فطرتهم فيقيسون بها الصور الادبية ويحكمون عليها بداهةً بذلك القياس فيعرف النفع بالقياس على تلك الصورة الادبية لا هي بالقياس عليه. ولذلك يجب ان يكون الصالح او الخير هو الباعث على الاعمال والمحرّك اليها

وقصارى الكلام ان ما ذكرته عن البواعث الثلثة المشروحة آنفاً كافٍ لاظهار غرضنا وهو ان السليم العقل الحرّ المختار لا يتّبع اللذّة والهوى والنفع الّا اذا كانت مطابقة لناموس الخير المرسوم

في ذهنه بيد باريه . فيجب على كل انسان ان يعتمد على الخير الذي هو الباعث الرابع من بواعث العمل والذي يقضي الضمير (ميز الخير من الشر) بانه هو المعوّل عليه الفائق بهاء الباهر سناه وضياه (سنأتي البقية)

مدينة افسس وهيكل ارطاميس

افسس مدينة قديمة على الشاطئ الغربي من آسيا الصغرى تجاه جزيرة صاموس والى الجنوب من نهر قسيطرة . وقد اشتهرت من قديم الزمان بهيكل ارطاميس الذي يعدّ من عجائب الدنيا السبع . ولا يُعلَم بالتحقيق متى بنيت ولكن يقال في الاخبار القديمة ان الامازون[1] بنيتها و بنيَ هيكل ارطاميس وكنّ كاهنات لها. وفي القرن الحادي عشر قبل الميلاد رحل اليها اندروكلس بن كدرُس ملك اثينا ومعهُ طوائف من اليونان فحرّروا المدينة التي على الآكام الجنوبية من الهيكل و بقي السكان الاسيويون في السهل الذي حوله لان ارطاميس من آلهة اهالي اسيا وكان الاسيويون يزعمون انها لم تنبات ومرضعة الحيوان اي انها رمز عن الخصب والانتاج وكانوا يمثلونها بصنم ملتف من اسفله كالموميا المصرية وله في صدره ثدي كثيرة رمزًا الى الينابيع الكثيرة التي في سهل افسس

وزهت افسس بعد نزول اليونان فيها وانسعت تجارتها جدًّا وكان فيها بركة عظيمة تتصل بها ترعة من نهر قسيطرة فتصير مرفأً امينًا للسفن . ولكن من حين نزلها اليونان شبّت بينهم و بين الاهالي الاصليين نار المغايرة لاختلاف الطائفتين في العوائد والاخلاق فكان اليونان يباهون بسفنهم ومتاجرهم والاسيويون بارطاميس الهتهم وهيكلها وفي الآخر تحقق النصر لارطاميس وكهنتها وذلك ان السماريين[2] حاصروا افسس فاستجار اهاليها بارطاميس وربطوا حبلاً من المدينة الى الهيكل فنجت مدينتهم من السماريين فزادوا تعبُّدًا لها . وحدث مثل ذلك في ايام قارون[3] فانقلب هذا الملك من معاداة الافسسيين الى مصادقتهم وعضدهم في بناء هيكل

(١) الامازون قبائل من النساء كنّ يتمرّنّ على الحرب والجلاد ويحرقن ثديهنّ اليمنى لكي لا تعيقهنّ في توتير القسي. وكل ما يروى عنهنّ اقاصيص لا سند تاريخي لها

(٢) السماريون شعب كان يسكن بين نهر الدنيبر والدون في روسيا فغزا اسيا الصغرى ولبث فيها الى اواخر القرن السابع قبل المسيح

(٣) قارون آخر ملك من ملوك ليديا تولى كرسي الملك سنة ٥٦٠ قبل المسيح وهو الذي يضرب به المثل في الغنى وقصتهُ مع صولون الحكيم مشهورة